النقابات الاسلامية

الأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

— ٣ —

انتشرت حركة الأخوة بسرعة فى المدن والأرياف ـ بالتكتل والكرم ـ كدستورهم ، وطبقة أصحاب الحرف كأساس اجتماعى لهم ، وقتل الطغاة وصنائعهم كواجب من واجباتهم ، فكانت حركة اجتماعية سياسية دينية عسكرية فى نفس الوقت . وقد لاحظ أحد الزائرين فى عهد متقدم أن أعضاء كل جمعية من جمعيات الأخوة كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولا بد من أن الاتحاد التام لجمعيات الأخوة مع الطوائف قد حصل فى زمن متقدم ، وربما كان ذلك فى بدء حركة الأخوة . كما أن حركة الأخوة لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب حرفة واحدة ، وإنما جعلوا واجبهم حفظ العدل ووقف الظالم عند حده ، واتباع قانون أخلاق ودينى ، وتنفيذ واجباتهم العسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . ولم تكن العضوية مقصورة على المسلمين فقط إذ نجد عدد المسيحيين عظيما جدا فى طور متأخر

وهكذا تحقق فى حركة الأخوة لأول مرة اتحاد الطوائف والفتوة والطرائق الدينية. وقد أتى كورد لفسكى ببينة ممتعة تؤيد تأثر الطوائف بالنفوذ الإسماعيلى إذ يلاحظ الأستاذ أثراً قوياً لآراء ابتداعية (لا توافق قواعد الإسلام) عند الأخوة ، ويرجع أصل ذلك إلى إخوان الصفا . ويذهب (كوبرولو) إلى أبعد من ذلك ويؤكد أن الأخوة كانوا فى الحقيقة متطرفين ملحدين فى بدعتهم وخروجهم وأنهم من طراز القرامطة أنفسهم[1]

ولدينا وصف هام للأخوة فى الأناضول ورد إلينا فى رحلة ابن بطوطة من أهالى طنجة زار الأناضول فى القرن الخامس عشر الميلادى[2]

وبظهور السلطة العثمانية وتوحيدها فقدت الأخوة كثيراً من سلطتهم ونفوذهم ، وبعد مقاومة عنيفة غير ناجحة اضطروا إلى التخلى عن مهمتهم السياسية والعسكرية ، ولكنهم لم ينحطوا أبداً إلى درجة أصحاب حرف عادية فقد استمرت بينهم روح العصر الأول . وحافظت الطوائف حتى القرن العشرين على حياة روحية داخلية وقانون أخلاق

وامتزجت نظم الطوائف والفتوة والأخوة فى الأناضول بسرعة وتم ذلك فى كل البلاد الإسلامية المتوسطة (مركزاً) فى القرن الخامس عشر . وقد جاءت معظم وثائقنا عن النظام الداخلى لهذه الطوائف بوساطة طوائف الفتوة . فكان لكل طائفة قانون يحتوى على قواعد وعادات وشعائر يتلى شفهيا عادة . وكان هذا القانون يعرف بالدستور (كلمة فارسية معناها : إذن . ومؤخراً . نظام) وكانت تكتب هذه القوانين فى بعض الأحيان وقد وصلنا عدد كبير من هذه الكراريس ترجع إلى القرن الرابع عشر وما بعده . ويعتبر كتاب الفتوة أو (فتوت نامه) كما تسمى هذه الكراريس بالعربية والتركية على التوالى مع عدد من كتب الرحلات والجغرافيا المصدر الأساسى لمعلوماتنا[1] وتتألف جميع هذه الكتب تقريباً حسب خطة واحدة من ثلاثة أقسام . القسم الأول يحوى أساطير تتعلق بأصل الحرفة ومفاخرات مؤسسها الذى تنتمى إليه ، وهى تعطى عادة حلقة من التنشيء مثلاً : الله علم جبريل ، جبريل علم محمد ، محمد علم عليًا ، علىّ علم سلمان الفارسى ، وسلمان علم الأبيار (وهم حماة أصحاب الحرف حسب تقاليدهم) والأبيار علموا الفروع (وهم الحماة الثانويون للشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة). وهؤلاء الفروع علموا بدورهم رؤساء الأصناف العاديين . وهذه الأساطير تظهر عادة تأثيراً قوياً للاسماعيلية والصوفية . القسم الثانى : يحوى عادة قائمة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف ، وهؤلاء عادة أشخاص اقتبسوا من التوراة والقرآن ومن التاريخ الإسلامى ، وهكذا نجد آدم حامى الفلاحين والخبازين ، وشيث حامى الحياكة والخياطين ، ونوح حامى النجارين ، وداوود حامى الحدادين والصباغ وابراهيم حامى

(١) تجب ملاحظة أن (تشتر) ينكر أى أثر إسماعيلى فى حركة الأخوة ويعتبرهم سنية قبل كل شيء

(٢) ابن بطوطة طبعة باريس ١٨٥٤ ج٢ ص ٢٦٠ وما بعدها . فحص (تشتر Taeschner) مخطوطة أخوة ممتعة ترجع إلى القرن الرابع عشر تنسب إلى يحيى بن (خليل) . وفى هذه الرسالة نلاحظ ثلاث درجات يكيت فتى ، آخى ، شيخ ؛ والدرجة الأخيرة نظرية أكثر منها عملية ، ووظيفة = الآخى أن يدعو ويرأس الاجتماعات الأسبوعية وتعليم وتنشيء المبتدئين. وكان اليكتلر (نقيان) ينقسمون إلى صنفين: قولى وسيفى. ومن الصنف الثانى يعين الأخية الجدد فى حالة الفراغ . وهناك موظف دائم يدعى النقيب أو رئيس الحفلات

(١) ص ١٠ لا تزال أكثر هذه الكراريس باستثناء اثنين أو ثلاثة خطية موزعة فى أوربا وآسيا فى المكتبات العامة والخاصة للنظرة العامة راجع : Thorning, Breitage p. 15-54

الطباخين، واسماعيل حامي صناع الأسلحة . والقسم الثالث يحوى التعاليم لتثقيف المبتدئين ، والأسئلة فيه تظهر اتصالاً قوياً بآراء الدراويش. ويمكننا من هذه الكراريس (كتب الفتوة) أن نصور نظام الطوائف لحد ما . ويحسن بنا أن نتذكر فى عملنا هذا أن وثائقنا جاءت من حقل تاريخى يمتد منذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين ويشمل كل البلاد الإسلامية . ومهما كان التغيير قليلاً خلال القرون، فإنه يوجد تباين محلى عظيم. لذا سنحاول أن نعطى صورة شاملة مع ملاحظة الفروق الأساسية تبعاً للمحل والزمن

رأس الطائفة الشيخ[1] ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة، وبعد انتخابه يكون حاكم الطائفة الأوحد ويجمع وظائف رئيس وأمين صندوق وكاتب ، وهو (أى الشيخ) موجود فى جميع الطوائف الإسلامية وفى بعض الطوائف كطوائف مصر فى القرن السادس عشر الموصوفة فى (مخطوط كوبا) ونجد له مساعداً ، وهو النقيب ، ومنزلته بالنسبة إلى الشيخ « كمنزلة الوزير من السلطان » ويظهر أنه كان رئيس التنفيذ لأوامر الشيخ ومنظم الحفلات أيضاً . ويليه الاختيارية أو المسنون بين أساتذة الطائفة يتعاونون معه على إدارة الطائفة؛ ثم يأتى الأساتذة ويدعى الواحد عادة أسطى أو أحياناً (معلم) ، وهم يشكلون القسم الرئيسي من الطائفة . أما الصانع فلا يلعب دوراً هاماً فى الطوائف الإسلامية ولا وجود له عادة إذ يكون الانتقال من مبتدىء إلى أسطى رأساً؛ ويوجد فى بعض النقابات دور وسط يدعى العامل فى خلاله خلفه أو خليفة، وهذا الدور وقتى فقط

وتهم الخلقة بالمبتدىء وفى أغلب الحالات لا يحدد وقت للدور الذى يقضيه المبتدىء ولا يطلب منه صنع شيء مثالى متقن جداً Masterpiece بالمعنى المفهوم عند الأوربيين . فزمن الدراسة والأجازة يعين من قبل الأستاذ الذى يشتغل معه المبتدىء. وتختلف النصوص فى مسألة تطبيق النظام فيقول البعض إن الشيخ يطبقه أو ينفذه منفرداً. ويقول آخرون إنه يفعل ذلك بمساعدة الاختيارية

هناك نوع آخر من التنظيم فى الطوائف الأناضولية المتأخرة وصفه كورد لفسكى إذ يطلب هنا من المبتدىء قضاء ألف يوم ويوم فى هذا الدور . كما أنه لا يأخذ فى هذا الدور أى أجر ولكن له الحق أن يحصل على بعض المكافأة (البقشيش) وليمة عند انتهائه إلى الطائفة ، ويدربه أستاذ فى شئون حرفته كما يحصل على دراسة أخلاقية فى الزاوية فى نفس الوقت . وإذا تتلمذ الجراق لأستاذ معين، فعليه أن يبقى مع أستاذه ولن يقبله أستاذ آخر كتلميذ له. وفى نهاية هذا الدور يطلب منه عمل شيء مثالى متقن فى صناعته ثم يجاز فى حفلة عامة من قبل — الأصناف باشى — أى شيخ الحرفة ، والـ — يكيت باشارى — أى الاختيارية ، وبعد هذا يصبح خلفه[1] ويجب عليه أن يبقى ستة أشهر على الأقل وبعد انتهائها يستطيع أن يمارس حرفته كأستاذ — وفى هذا يساعده أستاذه وغيره من الأساتذة من الوجهة المالية عادة .

ترأس الطائفة هيئة تدعى لونجة هيئتى Lonca Heyeti تتشكل من شيوخها أى الرجال المسنين[2] ويكون القرار النهائى للرئيس الذى ينتخب عادة لتقواه . وتجتمع الهيئة مرة كل أسبوعين ، وينفذ الأوامر والعقوبات الجاويش أوال — أوش باشى — ويحرص الطوائف كثيراً على كيفية نوع المنتج ويعاقب صاحب الإنتاج الردىء بطرده مؤقتاً من الطائفة تشترى المواد الأولية تحت رقابة الشيخ، ولأصحاب الحرفة الفقراء حق الأقدمية فى هذا على الأغنياء ، ويعقد اجتماع عام سنوياً .

يمكننا أن نلاحظ الدور الهام الذى يلعبه اللباس الخاص لرجال الطوائف فى حياتها . فميزة الفتوة الظاهرة فى أوائل عهدها كانت السروال ، ويتكلم الكتاب العرب عن لبس السروال كعلامة للانتماء إلى الفتوة ؛ ثم أصبحت هذه العادة متبعة فى الطوائف ، وصارت حفلة الانتماء إلى عهد قريب تتصف بارتداء بعض الملابس: السروال والشد والحزام والبشمال أو الصدرية . وهى الأهم من بين الملابس .

لدينا وصفان مفصلان للطوائف الإسلامية يستحقان الفحص كل على انفراد أولهما وصف فى رحلة سائح تركى يدعى — أوليا جلبى — الذى صنف قائمة مفصلة بأسماء الطوائف وهيئات أصحاب الحرف فى أوائل القرن السابع عشر بناء على طلب السلطان ، وفى هذا المؤلف نجد لأول مرة وصفاً كاملاً لنظام الطوائف فى مدينة إسلامية . يبدأ أوليا جلبى وصفه للطوائف بفتوت نامة — كتاب الفتوة — الذى يظهر أنه نص منقول يحتوى على الأساطير والتعاليم الاعتيادية وكذا وصفه حفلة الانتماء

(١) يعرف الشيخ أيضا باسم (أمين) ومريف ، وأحيانا نقيب إذا اختفت رتبة النقيب كرتبة مستقلة يسمى الشيخ فى تركيا ـ شيخ ، أسطا ـ وفى أسيا الوسطى يسمى ـ آق صقال ـ

(١) راجع Gordlevsky - R. E. I. 1934, p. 81 off.

(٢) يقول كوردلفسكى نظراً لقلة رأس المال كان يمد دور الخلفة إلى أكثر من ستة أشهر .

إلى الطائفة . أما تركيب الطائفة الذى يحويه الوصف فهو الشيخ (الرئيس) والنقيب (نائب الرئيس) والجاويش والأوسطة (الأستاذ) ثم الشاكرد (المبتدئ) . أما الصانع أو العامل البسيط فيلاحظ أنه لا ذكر له

ثم يعدد (أوليا جلبى) جميع الطوائف الموجودة تحت سلطة الملالى (جمع مُلاّ) الاربعة فى القسطنطينية مع عدد حوانيتهم ورجالهم وشيوخهم إذ ينقسمون إلى سبع وخمسين شعبة تحتوى بمجموعها على ألف طائفة وطائفة تحوى الشعبة الأولى طوائف الجواويش (ج جاويش) وموظفى البوليس والنظام والانكشارية الجدد (أكم أو غلان) والزبالين والقندلفتية (حفار القبور — الحانوتية —) وعمال الناجم ، والبلطجية والأحداث Minors والنقاش . وفى المعارض العامة يتقدم هؤلاء فى السير لأن من واجبهم تنظيم أو تسوية الطرق التى يسير عليها الآخرون بعدهم . أما الشعبة الثانية فهى تحت إدارة رئيس الطوائف Asas - Basi الذى عين لهذا المنصب من قبل السلطان محمد الفاتح (١٤٥١م ـ ١٤٨١م) وهى تحتوى على أصناف العسس والشرطة والجلادين ، واللصوص ، وقطاع الطرق ، وزمرة المسخرين (فى العسكرية أو البحرية) وسواس الخيل ، وممرنى الخيل ، والحرس . ويبين أوليا أن أصناف اللصوص ، وقطاع الطرق ، وكذلك المفلسون وغيرهم من وضيعى الأخلاق لا يظهرون فى المعارض العامة ، ولا يمرقون شخصياً ، ولكنهم يدفعون خوة (ضريبة) لرئيسى الشرطة المدعوّين (أسس باشى) (وصو باشى) لا يتسع المجال هنا للنظر فى وصفه للسبع والخمسين شعبة ، ولنلاحظ كمبدأ عام أن كل شعبة يرأسها شخص واحد ، وهو عادة رأس الطائفة المهم فى الشعبة ووظيفته أرفع وظيفة. أما الشعب القليلة التى يترأسها موظفون كـ (صوباشى) ، فهى مستثنيات ، والسبب هو كون الحرف نفسها رسمية أو شبه رسمية ، وتعمل الطوائف عرضاً تاماً على هيئة استعراض مرة واحدة سنوياً ، ووصفه أوليا كما يأتى : « يبدأ الموكب الملكى بالسير وقت الفجر ويستمر الموكب فى السير طول النهار ، حتى الغروب ، يفتتح الاستعراض من قبل الجاووش أو المسمى الاى جاويش ويناهز الموكب ألفى رجل والكل مدجج بالسلاح كأنه بحر زاخر ، ومن العادة المتبعة أن كل طائفة عند الوصول قرب الحديقة الجديدة أمام تذكار خسرو باشا تعرض نفسها أمام بيت قاضى استانبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس ، وجميع الطوائف . وهناك قاعدة أخرى وهى أن كلا من هذه الطوائف يهدى إلى قاضى القسطنطينية البضائع التى عرضوها فى معرض عام . ولكن بعض هذه البضائع كان يحق بهذه المناسبة ، وبعد تقديم الاحترام لأول حاكم فى العاصمة تسحب الطوائف رؤساؤها إلى محلاتها المختلفة وينصرف كل إلى بيته . وتتوقف كل تجارة وحرفة فى القسطنطينية بمناسبة هذا الاستعراض لمدة ثلاثة أيام يملأها ضجيج وفوضى الاستعراض» . ويظهر أن أهمية عظمى كانت تعلق على نظام الأقدمية (فى السير) . ويعطى أوليا جلبى وصفاً ممتعاً لنزاع من هذا القبيل (أى حول حق الأقدمية) بين القصابين وبين تجار مصر ، ثم صدر الحكم النهائى من قبل السلطان فى جانب التجار

(يتبع)

عبد العزيز الدورى

١/٣ عدد الرجال لا يتمتعون ببهجة الحياة !

ويمكنك معرفة أسباب ما يسود عليهم من فقدان النشاط والمزاج القصبى وعدم الميل الى العمل ، والفشل فى الحياة الزوجية ما تراه من ضعف النفس والجسم معاً . على ان العلم الحديث يقرر بان هذه الأعراض تنشأ فى العادة بسوء تغذية الأعصاب لنقص فيها من الفوسفور الهرمونات . فاذا حرم الجسم من كفايته من هذه المواد الغذائية الطبيعية ، حرم من النشاط ومن القوة الى فترة وكل ميل الى التقدم ولكن جهازه قد صار الآن فى الاستطاعة تعويض الجسم بهذه الهرمونات الحيوية الأثيرة فى شكل مستحضرات طبية ، فيمكن لجميع الرجال الذين يشكون من قلة الهرمونات فى أجسامهم ان يتداركوا أنفسهم وقبل اكتساب مستحضر « لوتوبطس » شهرته فى هذا الميدان من سهولة ما تؤخذ أول مستحضر للهرمونات مضمون عليها ، وتختبر اختباراً عملياً وفقاً للمختصين من نقاد وتناسب عناصره الهرمونية ، وهذه الهرمونات نجاح « لوتوبطس » فى معالجة جميع الحالات التى فشلت فيها سائر الأدوية لأجل معرفة كل ما يتعلق بالحياة الجنسية (بالصور الحية) يجب ان تطالع كتاب الحياة الجديدة « لوتوبطس » الذى يمكنك الحصول عليه نظير ٥ للنسخة الفرنسية او الانجليزية الحالة برسوم ذات خمسة الوان و ٣ للنسخة العربية ترسل طوابع بريد الى : صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر

اقتناع .. سرعة الهضم قابلية للشفاء بوساطة نوى بطس نمرة ٣ || مجانا

العلامة الهام الحديثة التى اكتشفها العلامة الشهير الاستاذ ماضيس كرشفلد الطلب نسخة مع البيان المصور من « حلا نهر رمين » ص.ب ٢١٠٥ بمصر أرفق طلبك بطوابع بريد ٥ تحمة مليمات

(سجل تجارى (٥٢٢٧)